

أضواء البيان

@ 208 @ إليه نفسه بالطبع خوفاً من الله ، وامثالاً لأمره ، كما قال تعالى : { وَأَمَّا مَن
مِّنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ
الْمَأْوَىٰ } . .

وهم بني حارثة وبني سلمة بالفرار يوم أحد ، كهم يوسف هذا ، بدليل قوله : { إِذْ
هَمَّتَ طَّائِفَتَانِ مِّنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْهَامَا } لأن قوله : {
وَاللَّهُ وَلِيُّ الْهَامَا } يدل على أن ذلك الهم ليس معصية ، لأن إتباع المعصية بولاية
الله لذلك العاصي إغراء على المعصية . .

والعرب تطلق الهم وتريد به المحبة والشهوة ، فيقول الإنسان فيما لا يحبه ولا يشتهيهِ :
هذا ما يهمني ، ويقول فيما يحبه ويشتهيهِ : هذا أهم الأشياء إلي ، بخلاف هم امرأة العزيز
، فإنه هم عزم وتصميم ، بدليل أنها شقت قميصه من دبر وهو هارب عنها ، ولم يمنعها من
الوقوع فيما لا ينبغي إلا عجزها عنه . .

ومثل هذا التصميم على المعصية : معصية يؤاخذ بها صاحبها ، بدليل الحديث الثابت في
الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم من حديث أبي بكر : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما
فالقاتل والمقتول في النار) قالوا : يا رسول الله قد عرفنا القاتل فما بال المقتول ؟
قال : (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) فرح صلى الله عليه وسلم بأن تصميم عزمه على قتل
صاحبه معصية أدخله الله بسببها النار . .

وأما تأويلهم هم يوسف بأنه قارب الهم ولم يهم بالفعل ، كقول العرب : قتلته لو لم أخف
الله ، أي قاربت أن أقتله ، كما قاله الزمخشري . .

وتأويل الهم بأنه هم بضربها ، أو هم بدفعها عن نفسه ، فكل ذلك غير ظاهر ، بل بعيد من
الظاهر ولا دليل عليه . .

والجواب الثاني وهو اختيار أبي حيان : أن يوسف لم يقع منه هم أصلاً ، بل هو منفى عنه
لوجود البرهان . .

قال مقيده عفا الله عنه : هذا الوجه الذي اختاره أبو حيان وغيره هو أجرى الأقوال على
قواعد اللغة العربية ، لأن الغالب في القرآن وفي كلام العرب : أن الجواب المحذوف يذكر
قبله ما يدل عليه ، كقوله : { فَاعْلَمِيهِمْ تَوَكَّلُواْ إِن كُنْتُمْ مَّسْلُمِينَ } أي
إن كنتم مسلمين فتوكلوا عليه ، فالأول : دليل الجواب المحذوف لا نفس الجواب ، لأن جواب
الشروط وجواب { لَوْ لَا } لا يتقدم ، ولكن يكون المذكور قبله دليلاً عليه كآلية

